

أول خطيب دعا إلى الله ورسوله

الصديق.. قوة إيمان وشجاعة رغم اقتراب الموت

- وقف يدافع عن النبي فُضرب حتى ظن أهله أنه ميت لا محالة
- للعصبية القبلية دور بارز في توجيه الأحداث رغم اختلاف العقيدة

إن سمة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السمة في الصحابة الكرام وتحملوا -رضوان الله عليهم- من البلاء ما نوء به الرواسي الشامخات، وبتلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشرف المسلمين من هذا الابتلاء، فقد أودى أبو بكر وحتي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالسهال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته في ذويه وهو ما بين الحياة والموت، فقد روت عائشة -رضي الله تعالى عنها- أنه لما اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله في الظهور، فقال: يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوه في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بتعنين مخسوفتين ويحرقهما نوحيه، ونزا على يطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو نعيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو نعيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو نعيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو حفافة «والده» وبنو نعيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ ففسوا منه بالسنتهم وعذلوه، وقالوا لأمة أم الخير: انظري أن تلطميه شيئاً أو نسفيه إياه، فلما خلت به ألححت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسالك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى أبوك؟ قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دتفاً، فدمت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا منك لأهل فسق وكفر، إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم

نفسه: حب الله ورسوله تغلق في قلب أبي بكر وتغلب على حبه لنفسه، بدليل أنه رغم ما ألم به كان أول ما سأل عنه: ما فعل رسول الله؟ قبل أن يطعم أو يشرب، وأقسم أنه لن يفعل حتى يأتي رسول الله، وهكذا يجب أن يكون حب الله ورسوله عند كل مسلم: أحب إليه مما سواهما حتى لو كلفه ذلك نفسه وماله.

إن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة، فهذه قبيلة أبي بكر تهود بقتل عتبة إن مات أبو بكر: تظهر مواقف رائعة لأم جميل بنت الخطاب، توضح لنا كيف تربت على حب الدعوة والحرس عليها، وعلى الحركة لهذا الدين، فحينما سألها أم أبي بكر عن رسول الله قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، فهذا تصرف حذر سليم: لأن أم الخير لم تكن ساعثة سسمة وأم جميل كانت تخفي إسلامها، ولا تود أن تعلم به أم الخير، وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول مخافة أن تكون عينا لقريش، وفي نفس الوقت حرصت أم جميل أن تطمئن على سلامة الصديق، ولذلك عرضت على أم الخير أن تصحبها إلى ابنها، وعندما وصلت إلى الصديق كانت أم جميل في غاية الحبطة والحذر من أن تشرب منها أي معلومة عن مكان رسول الله، وأبلغت الصديق بأن رسول الله سالم صالح.

وينجلي الموقف الحذر من الجاهلية التي فتت الناس عن دينهم في خروج الثلاثة عندما (هدات الرجل وسكن الناس)؛ يظهر بر الصديق بامه وحرصه على هدايتها في قوله لرسول الله: هذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فداعها إلى الله وأدع الله لها عسي أن يستقذها بك من النار، إنه الخوف من عذاب الله والرغبة في رضاه وجنته، ولقد دعا رسول الله -لأم أبي بكر- بالهداية فاستجاب الله له، وأسلمت أم أبي بكر وأصبحت من ضمن الجماعة المؤمنة المباركة التي تسعى لنشر دين الله تعالى، وتلمس رحمة الله بعباده وتلحظ من خلال الحدث (قانون اللحظة بعد اللحظة).

إن من أكثر الصحابة الذين تعرضوا لحقة الأذى واللينة بعد رسول الله أبا بكر الصديق نظراً لصحبته الخاصة له، والنصافة به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه، فيبترى الصديق مدافعاً عنه وفادياً إياه بنفسه، فيصبيه من آذى القوم وسفهم، هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالعقل والإحسان.

حرص الصديق على إعلان الإسلام وإظهاره أمام الكفار، وهذا يدل على قوة إيمانه وشجاعته، وقد تحمل الأذى العظيم، حتى إن قومه كانوا لا يشكون في موته، لقد أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من نفسه، ولم يعد يهتم بعد إسلامه إلا أن تغلو راية التوحيد، ويرتفع النداء: لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كان اللحن حياته، وكاد أبو بكر فعلا يدفع حياته لمنا لعقيدته وإسلامه؛ إصرار أبي بكر على الظهور بدعوة الإسلام وسط الطغيان الجاهلي، رغبة في إعلام الناس بذلك الدين الذي خالطت بشاشته القلوب رغم علمه بالأذى الذي قد يتعرض له وصحبه، وما كان ذلك إلا لأنه خرج من حظ

بر الوالدين أعظم من الجهاد وأسهل الطرق لدخول الجنة

الله عنه- يبارًا بامه، فلما أسلم قالت له أمه: يا سعد، ما هذا الذي أراك؟ لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فقغير بي، فقالت: يا قاتل أمه، قال سعد: يا أمه، لا تفعلني، فإني لا أدع ديني هذا لشيء، ومكنت أم سعد يومًا وليلة لا تأكل ولا تشرب حتى اشتد بها الجوع، فقال لها سعد: تعلمين -والله- لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا لنفسًا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فقلني، وإن شئت فلا تكلمي.

فلما رأت إصراره على التمسك بالإسلام ائثت، ونزل يؤيده قول الله تعالى: «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تلطمهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا»، وهكذا يامرنا الإسلام بالبر بالوالدين حتى وإن كانا مشركين.

وتقول السيدة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها-: قدمت على أبي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة (أي طامعة فيما عذني من بر)، فأصل أمي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم، صلى الله) [متفق عليه].

عقوق الوالدين

حذّر الله -تعالى- المسلم عن عقوق الوالدين، وعدم طاعتهما، وإعمال حقوقهما، وفعل ما لا يرضيهما أو إيذائهما ولو بكلمة «أف» أو نظرة، يقول تعالى: «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً». ولا يدخل عليهما الحزن ولو بأي سبب، لأن إدخال الحزن على الوالدين عقوق لهما، وقد قال الإمام علي -رضي الله عنه-: «من أحرز والديه فقد عَقَمَها».

جزاء العقوق

عذّ النبي صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين من كبائر الذنوب، بل من أكبر الكبائر، وجمع بينه وبين الشرك بالله، فقال صلى الله عليه وسلم: (إلا أنيتكم بأكبر الكبائر: الإشرار بالله، وعقوق الوالدين...) [متفق عليه]. والله -تعالى- يعجّل عقوبة العاق لوالديه في الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: (كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يجعل لصاحبه في الحياة قبل الممات) [البخاري].

عليه وسلم: (هل بقي من والديك أحد؟) قال: أمي، قال: (فأسأل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فانت حاجج ومعتص ومجاهد) [الخطبراني]. وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال صلى الله عليه وسلم: (أحي) والساد؟) قال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: (قفيهما فجاهد) [مسلم].

وأقبل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد؛ ابتغي الأجر من الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (فهل من والديك أحد حي؟) قال: نعم، بل كلاهما، فقال صلى الله عليه وسلم: (فتبتقي الأجر من الله؟) فقال: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: (فارجع إلى والديك، فأخسب صحتيهما) [مسلم].

الفوز بـر الأبناء: إذا كان للمسلم يبارًا بوالديه محسنًا إليهما، فإن الله -تعالى- سوف يرزقه أولادًا يكونون بآرين محسنين له، كما كان يفعل هو مع والديه، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يزوا أباكم تبرّكم أبنائكم، وعقوا تحف نسائكم) [الخطبراني والحاكم].

الوالدان المشركان

كان سعد بن أبي وقاص -رضي

قال: لم أي؟ قال: (نم بر الوالدين)، قال: لم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [متفق عليه].

ومن فضائل بر الوالدين

رضا الوالدين من رضا الله: السلم يسعى دائمًا إلى رضا والديه: حتى يخال رضا ربه، ويتجنب إغصابيهما، حتى لا يغضب الله، قال صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد) [الترمذي]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من أرضى والديه فقد أرضى الله) [البخاري].

الجنة تحت أقدام الأمهات

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الجهاد، فأمره يرجع ويبر أمه، فأعاد الرجل رغبته في الجهاد، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع ويبر أمه. وفي المرة الثالثة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ويح! أزم رجلكما قدم الجنة) [ابن ماجه].

الفوز بمنزلة المجاهد: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أشتئى الجهاد، ولا أدر عليه، فقال صلى الله

إلى الصلة مأخوذة من حديث متفق عليه].

بر الوالدين بعد موتهما

فالمسلم يبر والديه في حياتهما، ويبرهما بعد موتهما: بأن يدعو لهما بالرحمة والفقرة، وينفذ عهدهما، ويكرم أصدقاهما.

يجكي أن رجلاً من بني سلمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: (نعم، الصلاة عليهما (الدعاء)، والاستغفار لهما، وإيفاء بعهودهما من بعد موتها، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما) [ابن ماجه].

وحتّ الله كل مسلم على الإكثار من الدعاء لوالديه في معظم الأوقات، فقال: «ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»، وقال: «رب اغفر لي ولوالدي ومن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات».

فضل بر الوالدين

بر الوالدين له فضل عظيم، وأجر كبير عند الله -سبحانه-، فقد جعل الله ير الوالدين من أعظم الأعمال وأحبها إليه، فقد سنل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها).

بر الوالدين هو الإحسان إليهما، وطاعتهما، وفعل الخيرات لهما، وقد جعل الله للوالدين منزلة عظيمة لا تعدنها منزلة، فجعل برهما والإحسان إليهما والعمل على رضاهما فرض عظيم، وذكره بعد الأمر بعبادته، فقال جل شأنه: «وفضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا»، وقال تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانًا»، وقال تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير».

من بر الوالدين

كان إسماعيل -عليه السلام- غلاماً صغيراً، يحب والديه ويطيعهما ويبرهما، وفي يوم من الأيام جاءه أبوه إبراهيم -عليه السلام- وطلب منه طبقاً عجيباً وصعباً، حيث قال له: «يا بني إني أرى في المنام إني أذبح فأنظر ماذا ترى؟» فرد عليه إسماعيل في ثقة المؤمن برحمة الله، والراضي بقضائه: «قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين».

وهكذا كان إسماعيل يارًا بابيه، مطيعاً له فيما أمره الله به، فلما امسك إبراهيم -عليه السلام- السكين، وأراد أن يذبح ولده كما أمره الله، جاء الفرج من الله -سبحانه- فأنزل الله ملكاً من السماء، ومعه كبش عظيم فذاه لإسماعيل، قال تعالى: «وهديناه بذبح عقبيه».

يجكي لنا النبي صلى الله عليه وسلم قصة ثلاثة رجال اضطروا إلى أن يبيتوا ليطلبهم في غار، فأنحدرت صخرة من الجبل؛ فسدت عليهم باب الغار، فأخذ كل واحد منهم يدعو الله ويتوسل إليه باحسن الأعمال التي عملها في الدنيا: حتى يفرّج الله عنهم ما هم فيه، فقال أحدهم: اللهم إله كان لي أيوان شيخان كبيران، وكنت أحضر لهما آكلين كل ليلة لبشريا قبل أن يشرب أحد من أولادي ، وتاخرت عنهما ذات ليلة، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما أو أعطي إحداه من أولادي قبلهما، فخللت والفا -وقدح الدين في يدي- انتظرت استيقاظهما حتى طلع الفجر، وأولادي يكون من شدة الجوع عند قدمي حتى استيقظ والداي وشربا اللبن، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه، فأنفرجت الصخرة، وخرج الثلاثة من الغار.

